

مجلة أنثروبولوجية الأويان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أصداء من الحياة الاجتماعية الأندلسية ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين
والموحدين (448-667هـ/1056-1269م)

Echos of Andalusian Social life in the Maghreb during The
Amoravids and Almoahids eras

أ. عبد الكريم طهير¹، أ. قدور وهراني²

¹Abdelkrim Tahir, ²Kadour Ouhrani

¹جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف، abdelkrimtahir@yahoo.fr

¹university of Hassiba Benbouali- Chlef

²جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، histoire_maghreb@yahoo.fr

²University Abou Bakr Belkaid- Tlemcen

تاريخ القبول: 2019/06/08م

تاريخ الارسال: 2019/06/06م

ملخص :

انتقلت خلال عصري المرابطين والموحدين كثير من العادات الاجتماعية الأندلسية إلى بلاد المغرب، وقد ساعد القرب الجغرافي والوحدة السياسية خلال هذه الفترة بين العدوتين على سهولة انتقال المؤثرات الاجتماعية الأندلسية، أما الأمثلة التي تعبر عن صدى هذه التأثيرات ببلاد المغرب فتجلت في اللباس والطعام، والتقاليد الأندلسية المختلفة من احتفالات، وهو وترفيه، وألعاب، والتي عبّرت عن قوة الثقافة الأندلسية وقدرتها على التأثير، وعلى امتلاك مجتمع بلاد المغرب الاستعداد اللازم لقبول السلوكيات الاجتماعية الوافدة إليه.

¹ المؤلف المرسل: عبد الكريم طهير، الايميل: abdelkrimtahir@yahoo.fr

الكلمات المفتاحية:

أصدقاء الحياة الاجتماعية المرابطون الموحدون الأندلس بلاد المغرب

Abstract :

During Almoravides and Amoahides era, many of social customs of Andalusia moved to the Maghreb. The geographical proximity and political unity during this period helped the ease of transmission of the Andalusian social influences. The examples that reflect the echo of these influences in the Maghreb were manifested in dress and food, traditions Andalusia of religious and social celebrations, entertainment, and games, which expressed the strength of Andalusian culture and its ability to influence, and how the Maghreb community have ready to accept the social behaviour of the coming.

Key worths:

Echos Social life Andalusia Maghreb The Almoravides
The Amoahides.

تقديم:

منذ الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس سنة 92هـ/711م نمت روابط دينية وسياسية وحضارية وثيقة مع بلاد المغرب، وحينما تمكن المرابطون (448-540هـ/1056-1145م) ومن بعدهم الموحدون (541-667هـ/1146-1269م) من توحيد بلاد المغرب والأندلس في وحدة سياسية واحدة زادت العلاقات متانة، فكان من أثر ذلك زيادة الاحتكاك البشري بين المجتمع المغربي ونظيره الأندلسي، وبرغم التاريخ الإسلامي المشترك والمتشابه بين بلاد العدوتين ما بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، فإنّ الأندلس قد وصلت خلال هذه الفترة إلى مراحل متقدمة من الإزدهار الحضاري والذي انعكست على تميّزها الاجتماعي، ما جعل مسألة تأثير السلوكات الاجتماعية الأندلسية المختلفة على بلاد المغرب أمر وارد خلال المرحلة

المرباطية والموحدية، لكن ذلك كان يجب أن يرتبط بقوة تأثير هذه السلوكيات الأندلسية اجتماعيا على بلاد المغرب، ومدى قابلية مجتمع بلاد المغرب على تقبل هذه السلوكيات الاجتماعية الجديدة.

أولا: مظاهر من التأثير الأندلسي في مجال اللباس

تميزت الأندلس في آخر القرن الخامس الهجري بالتحلل العناصر التي كان يتكون منها المجتمع الأندلسي و امتزاجها حتى أنه أصبح من العسير التمييز بينها، وتكون من كل هذا الخليط ما يسمى بالأندلسيين، الذين أسسوا حضارة أندلسية جاءت نتاج تمازج وتفاعل العناصر البشرية التي أصبحت لها شخصيتها المميّزة التي تطبعها، فقد تميّز الأندلسيون بعدة صفات ومنها حبهم الشديد للتأنق في ملابسهم، وانفرادهم بتقاليد الزي التي تختلف عن الأمصار الأخرى، فما هي سمات الزي الأندلسي ؟ وهل كان لها صدى بين أهل المغرب خلال عصري المرباطين والموحدين؟

1) وصف عام للباس الأندلسيين

قطع المجتمع الأندلسي منذ تشكله أشواطاً هامة من الإزدهار الحضاري تبلورت على شكل أنماط سلوكية إجتماعية حضارية متعددة، وكان اللباس الأندلسي رمزا دالاً على ذلك الرقي الحضاري، حتى إذا بلغ عصري المرباطين والموحدين (5-7هـ/11-13م) كان الأندلسيون قد بلغوا درجات مهمة من البراعة في حيّاة ثيابهم، فكانوا يصنعونها من الحرير، والقطن، والكتّان، والصّوف، وكانت أقمشتهم تزدان بزخارف نباتية، وأزهار وأشكال هندسية مختلفة (دندش 1988، 318)، فأهل ألمرية ومالقة على سبيل المثال كانوا يلبسون الملابس المصنوعة من الحرير الموشاة من الذهب والديباج (ابن سعيد 1995، 193) (أ. المقرئ

1988، 219) (ياقوت الحموي 1977م، 119)، كما كان أهل غرناطة يفضلون الألبسة المحكمة الصنعة (أ. المقرئ 1988م، 201)، وكان أكثر أهل قرطبة لا يمشي "دون طيلسان" (أ. المقرئ 1988م، 223)، علماً أنّ ما كان يجري بقرطبة، كان يجري بالأندلس (صالح يوسف بن قرية 2000م، 259)، وبذلك كان لبس الطيلسان عاماً بالأندلس، كما ارتدى أهل الأندلس غفائر الصوف الحمر والخضر (أ. المقرئ 1988م، ص 223)، وكانت الغفارة تلبس في أنحاء أخرى من الأندلس، وما يدلّ على ذلك أنّ أهل طليطلة ركبوا بثياب زينتهم إلى الطاغية "ألفونسو ملك قشتالة" كأهم وفد سلم يشهدون توقيع معاهدة صلح، فأوقع بهم، وقتل منهم عدداً كبيراً، وغنم التّصاري ألف غفارة كان يلبسها القتلى (أ. المقرئ 1988م، ص 223). وليس المجال هنا للحديث عن كل الملابس الأندلسية لأنّ ذلك يتطلب فضاءً أوسع، ولكن الهدف هو توضيح القيمة الحضارية للباس الأندلسي.

وكان أهل الأندلس يعتنون بملابسهم ويتأنقون فيها (أ. المقرئ 1988م، ص 201)، وزاد في براعتهم وتفننهم في الملبس قدوم زرياب (ليفي بروفنسال د ت، ص 54) (زامبادور د ت، ص 524) (عبد الرحمان بن خلدون 2000م، ص 164) إلى الأندلس حيث تعلّموا عن طريقه نظاماً لارتداء الأزياء (ليفي بروفنسال د ت، ص 55) تبعاً لفصول السنة وتقلبات الجوّ، كما علّم زرياب الناس لبس الملابس القطنية البيضاء في فصل الصيف، ودعاهم أن يلبسوا في فصل الخريف الثياب الملوّنة ذات الحشو والبطائن الكثيفة (أ. المقرئ 1988، 128) (ابراهيم حسن ابراهيم 1967م، ص 454)، وينتقلوا في فصل الشتاء عندما يقوى البرد إلى أثخن منها من الملّونات، ويستظهروا تحتها إذا احتاجوا بصنوف الفراء (أ. المقرئ 1988، ص 128) (ابراهيم حسن ابراهيم 1967م، ص 454)، فالشتاء فصل الملابس الثّقيلة (أ. المقرئ 1988، ص 128)، ثمّ ينتقلوا في فصل الرّبيع إلى لبس جباب الخز، والحرير والدّرايع الملوّنة التي لا بطائن لها (أ. المقرئ 1988، ص 128)، فالرّبيع هو موسم الملابس الحريرية الخفيفة ذات

الألوان الزاهية (أ. المقرري 1988، 128) (ليفني بروفنسال د ت، ص 56-57)، لقرىها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون إليها لحفتها وشبهها بالمحاشي ثياب العائمة (ابراهيم حسن ابراهيم 1967م، ص 454)، ورأى أن يكون "ابتداء الناس للباس الأبيض وخلعهم الملون، من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة، الكائن في ست باقين من شهر بؤونة الشمسي من شهورهم الرومية، فيلبسوه في أول شهر أكتوبر الشمسي، منها ثلاثة متوالية، وبقية السنة الثياب الملونة" (أ. المقرري 1988، ص 128)، هذا النظام الخاص الذي استحدثه زرياب في مجال الأزياء بالأندلس قد طبع الشخصية الأندلسية بمختلف فئاتها، كما أنه كذلك قد أثر على نمط حياتهم الخاصة التي أظهرت تفوقها وريادتها وتميزها عن بقية المجتمعات.

وإذا كان الطابع العام للمجتمع الأندلسي هو التألق في الملبس، فالمتعارف عليه هو أنّ المرأة هي الأكثر اهتماما بمسائل الأناقة والمظهر، ومن هذا المنطلق فإنّ المرأة الأندلسية كان لها الحظ الأوفر من حسن المظهر، خاصّة وأنّها تمتعت بنوع من الحرية النسبية، التي سمحت لها بالتعبير الاجتماعي عن نفسها من خلال طريقة لباسها، فلم تلتزم النساء الأندلسيات بستر وجوهها إلّا نسبيا، فبينما كانت الحرائر محتجبات فإنّ الجوّاري والإماء شاعت فيهن ميوعة الأخلاق، والسفور إلى درجة ألفتها بعض الأندلسيين (فينغيرا 1988م، ص 1001).

كانت النساء الأندلسيات يرتدين عند خروجهن من البيت سراويل طويلة متموجة الساق ويتعلن بأحذية من الجلد الناعم المطرز بالحرير الملون، كما كن يتخذن بعض الأساور في أرجلهن فوق العقب (كربخال 1984م، ص 176-177). أمّا الخمار فهو من النّوع الرفيع في غالب الأحيان، وكان لهن ذوق رفيع في اختيار الألوان والأنواع، فمثلا اللون الأزرق يلبس مع لباس آخر لونه الأخضر، ويخصص اللون الأزرق السماوي لباس لونه أخضر فستقي (دندش 1988، ص 321). أمّا نساء العائلات الوجيهة في الأندلس فكُنّ يلبسن البرنس

عندما يمتطين البغال كما يصف ذلك أحد الجغرافيين (الوزان 1980م، ص197)، وبشكل عام يمكن القول أنّ زيّ نساء الأندلس كان طابعها الأناقة والتّفاسة والإسراف.

(2) ملامح من تأثير الزي الأندلسي ببلاد المغرب

لقد تمت الإشارة فيما سبق إلى أنّ الأندلسيين كانوا أصحاب ذوق خاص، ومميّز، ورفيع في اللّباس، وبلغوا مبلغا كبيرا في التّأنق والشخصية، لدرجة أنّ تأثيرهم كان واضحا على المجتمعات القريبة منهم، فعلى سبيل المثال أقبل الإسبان على عرب الأندلس في عاداتهم الاجتماعية، ومنها الملبس (السامرائي 2000م)، فماذا عن بلاد المغرب التي ضُمَّت للأندلس في وحدة سياسية واحدة خلال عصري المرابطين والموحدين؟

تشير المصادر التاريخية خلال هذه الفترة أنّ أهل المغرب كانوا يتميّزون بالتواضع والبساطة في الملبس، فقد كان مثلا أكثر لباس الطبقة الحاكمة من الموحدين الملابس الصوفية، ويذكر في هذا الصّدّد ابن صاحب الصلاة، عن عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) أنّه ما لبس قط إلّا ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبّة تواضعا لله تعالى وزهدا، لكن الأمر تغيّر بعد دخولهم الأندلس وانفتاحهم على حضارتها وترفها، حيث أقبلوا على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة، واتخاذ الرقاق، خاصّة وأنّ الحرير كان متوفر على عهدهم بأنواع وذلك ما دفع الخليفة المنصور الموحدي (580-595هـ/1184م-1198م) إلى إصدار أمر ببيع ما في خزائن الدّولة من الحرائر، وطالب الرعيّة بتخفيف ارتدائها (ابن عذارى 1985م، ص174). وهذا دليل على قوّة تأثير الأندلسيين على أهل المغرب في مجال اللّباس (قاسم الطويل 1994، ص256)، بسبب تميزهم وذوقهم الرفيع الذي تميّزوا به (ياقوت الحموي 1977م، ص119).

وكما هو الحال عند المرأة الأندلسية فإنّ النساء في بلاد المغرب كان لهنّ اهتمام خاص بلباسهنّ، لذلك فإنّ أزياء النساء في بلاد المغرب يكاد يكون مشابها لزي النسوة في الأندلس، حيث تقدم كتب التّوازل إشارات إلى أسماء الثياب، وأنوعها وما كانت تتخذ منه، والتي اشتهر لبسها خاصّة خلال العصرين المرابطي والموحدي، فنجد منها ثياب القطنية والملحفة القطنية التي تلبس غالبا أثناء الشتاء للوقاية من البرد، كما كانت النساء ترتدي ثيابا عريضة الأكماس على سراويل طويلة تبعا للمكان الذي تعيش فيه (الوزان 1980م، ص252)، وتغطي رأسها بخمار من ثوب الحرير أو الكتان (دندش 1988، 321) (سالم السيد 1984، ص320-321)، وكانت نساء المغرب والأندلس كذلك على السواء يلبسن في أقدامهن الجوارب والأخفاف (ابن عمر 1975م، ص68) (الونشريسي 1981م، ص420)، كما استخدمت النساء في المغرب والأندلس الخلاخل والأساور والأقراط من الذهب والفضة، والأحجار الكريمة لتزيين اليدين والرقبة وكنّ يخلّين بها حتّى الصبيان (ابن الخطيب 1988م، ص138-139) (البرزلي 2002م، ص374)، كما استعملت الحنّاء لزينة الشعر واليدين والأرجل واستخدمن الكحل والسواك للتّجميل والحفاظ على الصّحة، زيادة على العطور والصّابون للتّنظيف (البرزلي 2002م، ص101).

لكنّ زيّ نساء الأندلس كان طابعها الأناقة، وهو ما جعله مميّزا عنه في بلاد المغرب (الشعكة 1986م، ص85)، لذلك فإنّ تأثير المرأة الأندلسية في بلاد المغرب كان قويا، خاصّة وأنّ الفرصة كانت متاحة لها على الدوام للتفوق والنبوغ (فينغيرا 1988م، ص999)، وبرغم قلّة المصادر التي تثبت لنا ذلك فإنّ ما يمكن استخلاصه هو حدوث كثير من التقارب بين الأندلس وبلاد المغرب في مجال اللباس في العصرين المرابطي والموحدي، والذي يوحي بما لا يدع مجالا للشك بحصول عملية التأثير الأندلسي في مجال اللباس النسائي، لذلك ففي

تصوّرنا أنّ المرأة المغربية كانت الأكثر تأثراً بالزّيّ الأندلسي لاهتمامها بمظهرها أكثر من الرجل، كما أنّ عملية التأثير الأندلسي كانت تتم بدرجة أكبر على مستوى الطبقات العليا للمجتمع بسبب احتكاكها المباشر بالأندلسيين.

ثانيا: ألوان الطّعام ببلاد المغرب وتأثرها بالأندلس

امتدّ التأثير الأندلسي على بلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين إلى مجالات حياتية أخرى غير اللباس، ومنها الطّعام على وجه التحديد، فبرغم أنّ بلاد المغرب ببيئاتها المتنوعة قد أوجدت نمطا معاشيا وغذائيا، انعكس على مجال الطّعام والطهي، فإنّ التقارب الاجتماعي مع الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين كان من شأنه أن يؤدي إلى انتقال بعض الأطعمة الأندلسية إلى العدوّة المقابلة، فإذا تّبّعنا ألوان الطّعام في بلاد المغرب نجد أنّ موائدهم أصبحت حافلة بأنواع الطّعام والحلوى والأشربة التي كان أغلبها معروفا بالأندلس.

1) إنتقال الأطعمة الأندلسية إلى بلاد المغرب

إنّ طبائع النّاس وأمزجتهم في العادات والشهوات، ومنها الطّعام تختلف من مكان إلى مكان، ومن إقليم إلى آخر، فقد يشتهي كثيرون طعاما تكرهه أقوام أخرى، وبذلك فإنّ أي إنسان إذا ذمّ لونا من ألوان الطّعام، لا يمكن أن يذمه جميع النّاس (مجهول 1961-1962م، ص77)، لذلك أجمع أهل الإتقان من مهرة الطّهارة من الأندلسيين " أنّ معرفة تصريف التّوابل في ألوان الطّعام أصل عظيم، وهي أساس الطّبخ وعليه ينبني " (مجهول 1961-1962م، ص79)، ويبدّل هذا القول على أنّ التّوابل كانت تستعمل بشكل واسع في الأندلس، والفضل في حسن استخدامها يعود إلى زرياب الذي أدخلها إلى الأندلس، وصنع منها التّقلية لبعض الأطعمة (أ. المقرئ 1988، ص128)، وأشهرها لون التّقايا التي عرفت بتقلية زرياب (أ).

المقري 1988، ص128)، ويبدو أنّ سكان الأندلس عامة استعملوا كلّ التوابل من كزبر، وفلفل، وكمون، وملح، وبقل الروم، وخلّ (مجهول 1961-1962م، ص52، 56)، بل أنّهم أكثرها من استعمالها، كما هو الحال بالنسبة لأهل الذين أكثرها من استعمال الزعفران (أ. المقري 1988م، 199).

أمّا بلاد المغرب فقد عرفت التوابل هي الأخرى، ومنها على وجه الخصوص عاصمة المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين مراكش، التي استخدم سكانها التوابل في بعض طعامهم (مجهول 1961-1962م، ص87)، كطعام التّومية (مجهول 1961-1962م، ص46)، وتشير وصفات الطّعام التي كانوا يعدّها أهل المغرب على أنّ استخدامهم التّوابل في الطّهي كان كبيرا، فهناك كثير من الأطعمة التي كان من أبرز مكوّناتها التّوابل، منها الثريد، الأحرش، تاحفصت، التّفايا، الصّنهاجي الملوّكي، السنبوسك (قدامة 1992م، ص31).

والملاحظ أنّ كلّ هذه الأطعمة كانت تتكوّن أساسا من اللحم، وأنّها تختص بالطّبقة الحاكمة، التي تركت حياة التقشف الأولى وبدأت تهتم بطعامها، بل اعتنت بكلّ ما له علاقة بذلك، ومنها التّأليف المختصة في الطبخ، فقد كتب أبو مروان عبد الملك ابن زهر مؤلفه "كتاب الأغذية" (شيوخ بلا تاريخ، ص19)، برغبة من الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م)، وصدّره بمقدمة عن علاقة الغذاء بالفصول الأربعة، وما يصلح لكل فصل، واستعرض فيه كل أصناف اللحوم من طيور وحيوانات وأسماك وبين منافعها (شيوخ بلا تاريخ، ص19)، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنّ ذلك ارتبط بحالة التّرف التي عرفتتها هذه الطبقة، غير أنّنا يمكن أن نوسع دائرة الاهتمام بالتّوابل إلى الحواضر الكبرى حيث أنّ السكان هناك تميّزوا بكثرة اهتمامهم بالطّعام، إذ اعتادوا على اتخاذ أشكال متعددة من الأطعمة المملوءة بالأدم، والتّوابل، بينما خالفهم أهل البادية الذين اقتصروا على القليل من

الأكل الخالي من الأدم (ابن خلدون 2000م، ص453-454). والجدير بالذكر أنّ الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين قد شهدت توسعا سريعا في المدن، نعمت فيه الطبقة المرفهة بالطعام ذاته، ثمّ إنّ تطوير الزراعة القائمة على الرّي، واستجلاب وأقلمة محاصيل جديدة (وينز 1999م، ص1022م)، وإشراك اقتصاد الأندلس بشبكة التجارة الإسلامية في البحر المتوسط ضمنت الحصول على المواد الأولية اللازمة لصنوف الطعام في المدن (وينز 1999م، ص1022م).

وقد سجل الأندلسيون مظاهر حضارتهم في المدن التي كانت مستقرا لهم، حيث يقدم لنا صاحب كتاب مجهول ما كان يصنع بمراكش بدار أمير المؤمنين أيام الخليفة الموحي أبي يوسف المنصور (مجهول 1961-1962م، ص213) (580-595هـ/1184-1199م)، فقد كانت هذه المدينة عاصمة للحكم تركزت بها الثروة وقصبات الحكم، وكانت تتمتع بمميزات خاصة في تلقي المؤثرات وجديد المواد الغذائية، مقرونة بانتقالها بواسطة الإنسان إليها من أقاليم ومدن أخرى، وهذا معيار حقيقي لتفسير التنوع في أغذية المدن، ومن ذلك يمكن الوقوف على شبكة التداخل والتلاقح (شيوخ بلا تاريخ، ص42)، التي ربطت الأندلس ببلاد المغرب باعتبارهما كتلة سياسية واحدة خلال عصري المرابطين والموحدين، وهو الأمر الذي يمكن أن ينطبق على فرضية انتقال طرق وفنون استخدام التوابل من الأندلس إلى بلاد المغرب رغم عدم وجود إثباتات مصدريّة تشير إلى ذلك؟

وإذا كانت الأساليب الأندلسية في استخدام التوابل ببلاد المغرب مازالت في طور الافتراض، فإنّ الحديث عن صناعة الحلويات وانتشارها ببلاد المغرب عن طريق الأندلس يبدو أكثر وضوحا، خاصّة "المجنّبات" (الزجالي بلا تاريخ، ص31) التي تعتبر أشهر الحلويات الأندلسية، وكانت مفضلة في جميع أرجاء الأندلس (وينز 1999م، ص1032)، ويذكر

صاحب كتاب الطبخ أهما كانت تصنع كذلك في طليطلة، أشبيلية، قرطبة (مجهول 1961-1962م، ص200) (وينز 1999م، ص1032)، وفي إشبيلية اعتاد الناس على حمل هذا النوع من الطعام معهم عند التنزه لحبهم له (سعيد 1980م، ص656)، أما مدينة شريس فكانت أكثر المدن الأندلسية شهرة بصناعة هذا النوع من الحلويات، وفي هذا الصدد يقول المقرئ "ومما اختصت به إحسان الصنعة في المجبنات، وطيب جنبها يعين على ذلك حتى صار يقال في المثل الشعبي الأندلسي أن من دخل شريس، ولم يدخل بها المجبنات فهو محروم (أ. المقرئ 1988، ص184).

كانت المجبنات تصنع أيضا في جهات عدة من بلاد المغرب كما ذكر صاحب كتاب الطبخ (مجهول 1961-1962م، ص200)، لكن إشارته إلى بلاد المغرب كان في فترات زمنية لا زالت مجهولة (شيوخ بلا تاريخ، ص42)، كما أن كثيرا من بلاد المغرب ممن استقروا بشريس أو غيرها من مدن الأندلس الأخرى قد تعرفوا على هذا النوع من الحلوى، وتذوقوه بل ولعل منهم من برع وتميز في صنعه، وإن كانت المصادر التاريخية لا تقدم دليلا على ذلك. ويبدو أن المغاربة الذين كانوا يقيمون في الأندلس قد تعرفوا كذلك على حلوى "المدائن" انطلاقا من مشاركتهم للأندلسيين الاحتفال بالمناسبات الدينية، خاصة عيد يناير والتي كانت تصنع فيها مثل هذه الحلوى (المراكشي 1973م، ص565 - 566)، غير أن تاريخ انتقالها إلى بلاد المغرب لا يزال غير معلوم. وإضافة إلى الحلويات عرف سكان بلاد المغرب أكلة حوت المروج الأندلسية (مجهول 1961-1962م، ص176)، ومجينة البيض (مجهول 1961-1962م، ص200)، وهي من الأكلات الأندلسية التي عرفت بمراكش، والتي أدخلها موسى بن الحاج يعيش المحتسب بمراكش (مجهول 1961-1962م، ص201).

(2) تأثير أهل المغرب بترتيب المائدة الأندلسية

أخذ ترتيب المائدة في الأندلس أشكالا متحضرة منذ انتقال زرياب من بغداد إلى الأندلس، حيث ساعدت ثقافة زرياب الموسوعية، وما حظي به في البلاط الأندلسي من احترام ورعاية وتقدير، على تفجير طاقاته الإبداعية التي تجاوزت حدود المجال الفني إلى المجال الاجتماعي، فقد وضع للطبقات الزاكية في الأندلس قواعد للسلوك وآداب الجلوس والمحادثة والطعام "حتى اتخذهم ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنّه لهم من آدابه" (ابن حزم 1987م، ص258)، وسمّوه "معلم الناس المروءة" (ليفي بروفنسال د ت، ص55).

علّم زرياب أهل الأندلس أرقى أنواع الطهي البغدادي (ليفي بروفنسال د ت، ص56)، وابتكر لهم ألواناً من الطعام لم يعرفوها من قبل (مجهول 1961-1962م، ص164)، ودرّجهم على إعداد مائدة راقية وأنيقة، تقدم فيها الأطباق حسب نظام وترتيب خاص، بدلا من أن يقدموا الطعام بدون أي ترتيب (ابن بسام بلا تاريخ، ص177)، ويتبن من خلال ذلك أنّ تقديم الموائد لم يكن بسيطا وأنها كانت تقدم بشكل متناسق، ومرتب، فتُقدّم أولاً أطباق الشورية والسواخن، تليها أطباق اللحم والطيور المتبلّة بالبهارات الجيدة (أ. المقري 1988م، ص126) مثل الخل والمر (بولسن 1991م، ص67-68)، وفي النهاية تقدم أطباق الحلوى من الفطائر المصنوعة من اللوز، والجوز، والعسل، والعجائن المعقودة بالفواكه المعطرة والمحشوة بالفستق والبندق (أ. المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب 1988م، ص126)، وبين كلّ صنف من هذه الأصناف تقدم أنواع الشرائد والعجائن ومختلف أطباق الكسكسو (بولسن 1991م، ص67-68). كما كانت هناك طريقة خاصة قد جرى العمل منذ عصر ملوك الطوائف بالأندلس وعلى أساسها صارت الفواكه تقدم فوق المائدة بترتيب خاص، حيث يوضع الجوز ثمّ اللوز فالقسطل، فغيرها من أصناف الفاكهة (أ. المقري،

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب 1988م، ص201).

وأذاع -زرياب- أنماطا جديدة في تنظيم المائدة، فأخذ الأندلسيون عنه اختيار غطاء الموائد الخشبية من الأديم، أو الجلد الأملس التّاعم توضع فوقها مناديل جميلة (Provençal 1970) بدلاً من غطاء الكتّان، لأنّ الجلد أسهل للتنظيف "إذ الوضر (الوسخ) يزول عن الأديم بأقلّ مسحة" (أ. المقرّي 1988، ص128)، وأخذوا عنه استخدام آنية الزجاج الرفيع في موائدهم بدلاً من الأواني الذهبية والفضية (أ. المقرّي 1988، ص128)، لأنّ الزجاج أسهل تنظيفاً، وأجمل منظراً، وأقلّ كلفة (أ. المقرّي 1988، ص128)، كما أنّها أكثر انسجاماً مع منظر المائدة من الأكواب الذهبية، أو الفضية (أ. المقرّي 1988، ص128).

أمّا بالنسبة لبلاد المغرب فكان أفراد الأسرة يجتمعون حول لحاف وضع فوقه الطّعام على الأرض، أو فوق مائدة منخفضة (الوزان 1980م، ص253)، مستعملين الملاعق لأكل العديد من الأطباق (Provençal 1970، P421)، ويستغنون عنها في بعض الأطباق (الوزان 1980م، ص253)، كالكسكسو الذي يتناوله الجميع في صحن واحد بدون ملاعق، ويكون المرق واللّحم معا في قدر من فخار يتناول كل واحد منهم قطعة اللّحم التي تعجبه، ويضعها أمامه دون تقطيع، ولا يستعمل السّكين، وإنّما تمسك قطعة اللّحم باليد وينهش منها بالأسنان قدر المستطاع" (الوزان 1980م، ص253)، ويبدو من خلال ذلك أنّ ترتيب المائدة ببلاد المغرب كان بسيطاً للغاية، وهذا دليل على البساطة التي تميّز بها طعام سكان بلاد المغرب، غير أنّ الصّلة الوثيقة بين الأندلس وبلاد المغرب، إضافة إلى أنّ الطبقة الحاكمة وحاشيتها، قد عاشت في ظلّ حياة مترفة، قد يدفعنا إلى القول أنّ أهل المغرب قد عرفوا التأنق في المأكّل، فالخاصّة من أهل المغرب بلاشك قد عرفت آداب المائدة الأندلسية، وهي أن يوضع الطّعام على المائدة ألوان مفردة لون بعد لون (مجهول 1961-1962م، ص85)، لكنّ

الواضح أنّ اهتمام الأندلسيين بطريقة تقديمهم للطعام قد فاق المغاربة بشكل كبير.

ثالثا: التقاليد الأندلسية ببلاد المغرب

لاشك أنّ تواجد أهل المغرب ببلاد الأندلس من خلال الهجرات المختلفة، قد ساعد على نقل عديد من الظواهر الاجتماعية من الأندلس إلى بلاد المغرب، وقد شملت حالات النقل هذه كثيرا من العادات والتقاليد الأندلسية، والمتمثلة في الاحتفالات بالأعياد الدينية والقومية والاجتماعية، إضافة إلى مظاهر اللهو والترفيه التي سادت المجتمع الأندلسي.

1) تقاليد الأعياد

من الأعياد التي احتفل بها الأندلسيون ما ارتبط بواجباتهم الدينية، ومنها عيدي الفطر، فقد اعتاد الناس على الاحتفال برؤية هلال شهر شوال حيث كانت تفرع الطبول احتفالا بليلة العيد، وترفع الراية فوق صومعة الجامع علامة على الابتهاج (كربخال 1984م، ص54) وتقديم التّهاني (التيطلي بلا تاريخ، ص142)، وفي صبيحة العيد تخرج الزكوات (الضبي 1989م، ص501)، بالإضافة إلى ارتداء الكبار والصغار للثياب الجديدة (العامري 2012م، ص22)، ثمّ تتجه جموع الناس نحو المصلى (الضبي 1989م، ص501). وكانت مظاهر الاحتفال متعددة بالأندلس، ومنها خروج الرجال مع النساء مختلطين للتفرج في أيام الأعياد والاحتفالات، حيث كنّ يشاركن الرجال الاحتفالات والاستمتاع بها معا (دويدار 1994م، ص304)، فيذهبون إلى ساحة المصلى حيث يُقمن الخيام للتفرج لا للصلاة على حدّ قول الطرطوشي (الطرطوشي 1990م).

ومظهر الاحتفالات ذاته بعيد الفطر بالأندلس نراه ببلاد المغرب، ونستشف ذلك من

خلال الإشارات الواردة التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية، منها رواية ابن القطان عن اجتماع النساء والصبيان في عيد الفطر ببجاية، وخروجهم مكتحلين متزينين إلى ساحة تقع خارج المدينة تقام فيها سوق أسبوعية (القطان بلا تاريخ، ص93)، وهو ما أكدّه صاحب كتاب "أخبار المهدي" بقوله "فلما كان عيد الفطر اختلط الرجال بالنساء في الشريعة" (البندق 1971م، ص13)، لكنّ الأندلس عرفت حياة أكثر تفتحا من تلك التي عاشها المغاربة، أمّا بلاد المغرب فشهدت تشددا كبيرا من قبل الخلفاء الموحدين في مسألة الاختلاط بين النساء والرجال في الأماكن العامة، وخاصة الأوائل منهم مقتدين في ذلك بإمامهم المهدي بن تومرت (البندق 1971م، ص13). ولم يختلف الحال في عيد الأضحى بهذا الخصوص، حيث كانت النساء الأندلسيات يخرجن إلى المتنزهات، فيراودهن الرجال، ويعتدون عليهن أحيانا، فأحداث قرطبة سنة 514هـ/1121م بدأت بسبب اعتداء عبد من عبيد المرابطين على امرأة خرجت للتنزه في عيد الأضحى، فمدّ يده إليها، فتطوّر الأمر إلى أحداث خطيرة (النويري بلا تاريخ، ص191).

كما احتفل الأندلسيون بكثير من الأعياد القومية والاجتماعية، ومنها احتفالات ذات طابع محلي، ترتبط بالمحيط الأوروبي للأندلس، كاحتفالات المسيحية، والاحتفال بعيد العصور، وعيد يناير، حيث شارك الأندلسيون جيرانهم المسيحيين أعيادهم، ومن هذه الأعياد عيد ميلاد المسيح، كما شاركوهم أيضا الاحتفال بذكرى صلب المسيح، وعيد العنصرة أو عيد سان خوان الذي تحتفل به إسبانيا في 24 يونيو، وخميس أبريل الذي يسمونه بخميس العهد والذي يسبق عيد الفصح المسيحي بثلاثة أيام (الطرطوشي 1990م، ص150-151)، وقد أشار أبو بكر الطرطوشي إلى أنّ الأندلسيين في هذه الأعياد يتناعون الفواكه والحلوى من المجنات، والإسفنج كالعجم تماما واعتبر هذا من البدع (الطرطوشي 1990م، ص151).

ومن الاحتفالات القومية التي راجت بالأندلس الاحتفال بمواسم جني المحاصيل، ومنها محصول العنب، والذي عرف بعيد العصير Alacir، والذي كان يسوده جو من الرقص، والغناء، والفرح، والسرور (قاسم الطويل 1994، ص259)، وهو مناسبة جماعية تقام في فصل الخريف (سامعي 2007م، ص127)، فكان الأهل يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام وليال لجمع المحصول في جو يسوده المرح والغناء والمرقص (العبادي 1979م، ص391)، وقد وصف ابن الخطيب احتفالات أهل غرناطة بهذا العيد، بقوله "وعادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حلل العصير أو أن إدراكه بما يشتمل عليه دورهم، والبروز على الفحوص بأولادهم، معولين على شهادتهم وأسلحتهم" (ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة 1973م، ص138) (إحسان عباس 1997م، ص48)، وكان الرجال والنساء يخرجون إلى هذه هذه الاحتفالات، ومعهم آلات موسيقية، يغنون، ويرقصون، ويستحمون في النهر، وقد ارتدى كل واحد منهم أجمل ما عنده (الأهواني 2002م، ص92)، وباعتبار أن المغاربة خلال عصري المرابطين والموحدين جزء لا يتجزء من النسيج الاجتماعي الأندلسي فإننا لانستبعد أن يكون أهل المغرب قد شاركوا الأندلسيين هذه الاحتفالات، وقد أشار أحد الفقهاء إلى ذلك بقوله "أنه ماعبر من ذاك البرّ (الأندلس) إلى هذا البر (المغرب) بدعة أشنع منها" (عزرودي 2007م، ص53)، وفي هذا القول دلالة على انتقال كثير من العادات الأندلسية إلى بلاد المغرب.

كما احتفل الأندلسيون بأعياد اجتماعية ومنها الاحتفال برأس السنة الميلادية (يناير)، وهو مهرجان ضخم كان يقام كل سنة، وتقدم فيه التهاني (قرمان 1980م، ص100)، وكانت من عادات الناس فيه شراء فواكه معينة، حيث تملأ الموائد بأصناف الحلويات والفواكه المجففة مثل التين والبلوط، وغيرها (قرمان 1980م، ص100)، وتوضع تماثيل مختلفة من

الحلوى (ابن بسام بلا تاريخ، ص47)، ومنها ما عرف لدى الأندلسيين بالتماثيل المعروفة بالنصبات، وهي عبارة عن مؤائد كبيرة يضع عليها الباعة أشكالا هائلة من الحلوى والفواكه، وقد بلغت بعض النصبات ما يربوا على السبعين دينارا لما احتوته من السكر والفانيد وضروب التين والتمر والجوز والقسطل والنارنج والليمون (قزمان 1980م، ص464). ومن أبرز الحلويات التي كانت تعدّ في هذه المناسبة، حلوى عرفت ب"حلوى المدائن"، والتي وردت نصوص عديدة في صنعها، إذ وصفها الشعراء والكتّاب وكانوا يسمونها "مدائن يباير" لأنّ معظمها على هيئة مدائن مصفرة ذات أسوار (ابن سعيد 1995، 294) (الزجالي بلا تاريخ، ص238-239) (المراكشي 1973م، ص565-566)، ويبدو أنّ تحضير هذه الأنواع من الحلويات وغيرها كان مرتبطا بمختلف المناسبات الاجتماعية والاحتفالات والأعياد (بولسن 1991م، ص68)، والوضح أنّ الأندلسيين لم يختلفوا عن أهل المغرب في الاحتفال بعيد يباير، غير أنّ تاريخ انتقالها إلى بلاد المغرب لا يزال غير معلوم.

كانت حلوى المدائن تحضر في عيد النيروز كذلك، الذي يمثّل أول يوم من السنة الشمسية الفارسية (ميتر بلا تاريخ، ص197)، وأعد الأندلسيون لهذه المناسبة أنواع عديدة من الحلويات (Provençal 1970 , P439)، وقد تضمنت أمثال العامّة عدّة اشارات حول الاحتفال بعيد النيروز (قزمان 1980م، ص646)، ممّا يدلّ على تجذّر هذه العادة في الأوساط الشعبية، بل ثمة ما يصور حرصهم على الاحتفال به (قزمان 1980م، ص646)، واحتفلت سبتة أيضا بعيد النيروز المعروف عندهم بيناير، فكان أهل المغرب يعملون من العجين بأصناف الألوان (بن تاويت 1982م، ص58)، وهو دليل على وجود حلقة وصل بين العدوتين في هذا الإطار.

(2) تقاليد الاحتفالات

حرص الأندلسيون على الاحتفال بعيد المولد النبوي (المنوي 1996م، ص517) احتفالا كبيرا على الصعيدين الرسمي والشعبي (العبادي 1979م، ص391)، وفي الوقت الذي كان فيه بعض علماء المشرق المتمسكين بالعادات الإسلامية الأولى، ينظرون إلى الاحتفال بمولد النبي على أنه بدعة (العبادي 1979م، ص391) يشاركون في ذلك عديد من علماء الأندلس وبلاد المغرب، ظهر كتاب أبو العباس العزفي من خلال مؤلفه "الدّر المنظم في مولد النبي المعظم" الذي استعرض من خلاله مراسيم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والشعائر التي تقام وموقف العلماء والفقهاء من البدع والأفعال، والعادات والتقاليد الغريبة على الإسلام (العامري 2012م، ص16)، ودعى الناس إلى ضرورة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف (العامري 2012م، ص18)، حيث قال "... فيا أمة محمد، ويا خيرة الأمم كفى بنا جفاء أن لا نعرف ميلاد نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام..."، ومن خلال كتابات العزفي وتأمله لما كان يحدث في المجتمع الأندلسي يتبين تحرب بعض المسلمين من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والانصراف إلى تقليد المسيحيين في احتفالهم بالسيد المسيح، وكان الأجدر بهم الاهتمام بأعيادهم الإسلامية وإقامة الشعائر لها (العامري 2012م، ص16).

وببلاد المغرب شهدت مدينة سبتة الاحتفال بالمولد النبوي وكان الداعي إلى ذلك الاحتفال القاضي ابن أبو العباس بن محمد العزفي، وهو الذي ألّف في الموضوع الكتاب السالف الذكر والذي أكمله ابنه أبو القاسم (بن تاويت 1982م، ص117)، والذي احتفل سنة 674هـ/1249م، بليلة المولد النبوي، ووزع أبو القاسم على الناس كل أنواع الطّعام، وفي تلك اللّيلة لم يتوقف أهل سبتة عن مدح محمد صلي الله عليه وسلم في كل مكان، وخاصة في المساجد (ابن عذارى 1985م، ص398-399)، وبرغم أنّ هذه الدّعوة ظهرت

بعد نهاية مرحلة الموحدين إلا أنّ مسألة الاحتفال تمتد جذورها بلا شك إلى مرحلة الدراسة، وكان الدافع إلى الاحتفال بالمولد النبوي ما كان عليه التّصارى من الاحتفال بعيد الميلاد، فقلّدَهم أهل سبّعة المسلمون في ذلك (بن تاويت 1982م، ص 117)، ولم يقف الاحتفال به عند سبّعة، بل عمّ المغرب الاسلامي كلّهُ (فيلاي 2002م، ص 61)، وهذا يدلّ على أنّ مسألة اتباع أعياد التّصارى مست المغرب والأندلس، ويبدو أنّ مظاهر الاحتفالات التي كانت تقام بسبّعة كان مصدرها الأساسي بلاد الأندلس، حيث كان الناس بسبّعة يوليون في احتفال المولد النبوي، ويشطحون على غناء السّمعين كعادة أهل الأندلس (بن تاويت 1982م، ص 112). وهذا كلّهُ يبين مدى تأثير سلوك أهل بلاد المغرب بأهل الأندلس (عبد العزيز عادل بلا تاريخ، ص 238).

أمّا خلال شهر رمضان فينصرف النّاس إلى العبادة، كختم القرآن فضلا عن صلاة التراويح التي كانت تقام في المساجد كل ليلة (ابن الزيات بلا تاريخ، ص 344). أمّا بالنسبة للاحتفالات فإنّ أهم احتفال كان في ليلة القدر حيث توقد الشّموع والزيت حتى الفجر (العامري 2012م، ص 22) في المساجد وتكون مكتظة بالحضور لإقامة الحلقات الدّينية والصلاة، ويذكر الطرطوشي بأنّ أهل الأندلس يحتفون بهذه اللّيلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها (الطرطوشي 1990م، ص 151)، وليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة معظمة لدى الأندلسيين والمغاربة، ففيها يحتم القرآن في المساجد (ابن عذارى 1985م، ص 99)، وبهذا الخصوص ذكر المؤرخون أنّ الأمير المرابطي تاشفين بن علي رغم محاصرته من طرف الجيوش الموحدية في وهران قصد ربوة عالية يتجمع فيها المتعبدون في هذه اللّيلة فصعد إليها في نفر من أصحابه "قصد التبرك بحضور ختم القرآن" (النويري بلا تاريخ، 292-293). وكانت النساء يشاركن أيضا في حفل الختم (الطرطوشي 1990م، ص 141)، وفي هذه اللّيلة كان أهل

المغرب يقصدون بعض المدن من أجل الاحتفال مجتمعين، فيقول ابن الخطيب في ذلك: "وظلت ليلة سبع وعشرين إحدى المواسم المختصة باستجلاب الأمم وتخييم الخيم واحتفال الأسواق" (ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب 1989م، ص122)، ويبدو أنّ مظاهر الاحتفال بهذه الليلة واحدة بالمغرب والأندلس، ولا مجال هنا لإظهار علاقة التأثير بين الطرفين لأنّ هذه المظاهر فرضتها الواجبات الدينية للشهر الفضيل.

ومن الاحتفالات التي كانت رائجة في المغرب والأندلس حفل إعدار الأطفال، وفي هذا الصدد يورد صاحب نفح الطيب رواية مفادها أنّ عادة حفل الحتان كانت شائعة عند الأندلسيين منذ النصف الثاني من القرن 4هـ/10م، وبالتحديد عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي ختن أولاده، وختن معهم من أولاد رجال دولته وأكرمهم بخمسمائة ألف دينار، حيث ذكر المقرئ بأنّ هذه المكرمة صارت مخلدة منه مقلّدة (أ. المقرئ 1988، ص128) (أ. المقرئ 1988، ص128)، ممّا يعني أنّها عادة استمرت عند الأندلسيين وترسخت منذ ذلك الوقت، وممّا يدلّ على أنّها عادة كانت منتشرة وممارسة ببلاد المغرب رواية أوردها المراكشي عن الخليفة الموحد أبي يوسف المنصور (580هـ-595هـ/1184-1198م)، حيث ذكر أنّه كلّما دخلت السنة يأمر أن يكتب له بالأيتام المنقطعين، فيُجمعون إلى موضع غريب من قصره فيختنون، ويأمر لكل صبيّ منهم بمثقال، وثوب ورغيف ورقانة، وربّما زاد على المثقالين درهمين جديدين، "هذا كلّه شهدته لا أنقله عن أحد من الناس" يقول المراكشي (ع. المراكشي 1963، ص364)، وبهذا يتضح أنّ الحتان كان سنة الذكور واجبة في كلّ من المغرب والأندلس، ونظرا لقيمتها الاجتماعية ارتبط بتقليد رسمي في العدوتين.

رابعاً: اهتمام أهل المغرب باللّهُو والتّرفيه

لاشك في أنّ الحياة المترفة التي عاشها الكثير من الأندلسيين، قد اقترن بها فراغ كبير كان لابد من شغله، فمنهم من شغله بالعمل الجاد والعلم النافع والعبادة، ومنهم من شغله باللّوان مختلفة من ضروب اللّهُو، والتسلية، واللّعب.

(1) ارتياد الحدائق والمنتزهات

اعتاد أهل المغرب والأندلس على الاستمتاع بأوقات فراغهم بشقّ وسائل التّسلية، ومن بين هذه الوسائل ارتياد الحدائق والمنتزهات، وسماع الموسيقى والطرب والإقبال على الملاهي، ومجالس الخمر، الشيء الذي تمخض عنه أحيانا عادات شاذة، جاءت نتيجة لتفسيخ المجتمع في مرحلة الهرم، وبسبب الأزمة الاقتصادية التي عرفتة الدولة المرابطية في أواخر أيامها (بوتشيش بلا تاريخ، ص94)، حيث يبدو أنّ أهل المغرب وسكان الأندلس كانت عندهم الرغبة في قضاء أوقات فراغهم في اللّهُو، إضافة إلى ميلهم إلى الترفيه.

امتازت الأندلس بالطبيعة الخلابة والمناخ الجيد المتنوع، فنرى الجبال والسهول والهضاب والوديان والمناخ الشديد البرودة والمعتدل والحر، كما أنّ جمال الطبيعة منح المجتمع بهجة وسرورا وفرحا، وخاصّة في الاحتفال بالأعياد، والمناسبات، ويدلّ ذلك على ارتباط المجتمع الأندلسي بالطبيعة، التي لقيت تمجيدها خاصّا من الشعراء الأندلسيين الذين افتخروا بها لدرجة أنّهم وصفوها "بجنة الخلد"، ومن هؤلاء ابن خفاجة (خفاجة بلا تاريخ، ص136).

وامتازت غرناطة بجمالها وخيراتها (العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة 1970م، ص138)، كما وصفها ابن الخطيب الغرناطي بقوله: "إنّ الطبيعة الكريمة للمملكة قد اجتذبت المسلمين من إفريقيا، والمشرق على مدى العصور منذ الفتح العربي، كما بدأ سيل المهاجرين

يفد من الداخل على مملكة غرناطة منذ سقوط الدولة الأموية علاوة على طوائف البربر الذين وفدوا من المغرب وطاب لهم المقام بأرض الفردوس، حتى غدت بهم غرناطة يوما إمارة، تميّزت بعنصر البرابرة (أهل المغرب)، رغم ما بها من سكان آخرين، وقد زاد تدفق هؤلاء البرابرة (أهل المغرب) على مرّ الأيام وخاصة على القواعد الجنوبية في عهد دولتي المرابطين والموحدين، يضاف إلى ذلك بعض المحاربين القادمين من إفريقيا والذين كانت تستهويهم خيرات البلاد وتغريهم نضرتها بالمقام فيخلفون بها مستوطنين" (ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان بلا تاريخ، ص 17).

هذه المهجرات أدّت إلى زيادة عدد السكان وتنوع المجتمع، وبالتالي تنوع صفاته وعاداته بالإضافة إلى تفاقم وازدحام السكن في غرناطة حيث صرح لنا ابن الخطيب بقوله: "من أولئك النازحين اسر عريقة أندلسية لجأت إلى المناطق الجنوبية والمدن الساحلية" (ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان بلا تاريخ، ص 17)، ومن دون شك أنّ هؤلاء الوافدين كانوا يحملون معهم عاداتهم وتقاليدهم، مما زاد الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية ثراء، وقد ينطبق هذا على البربر الذين تواجدوا بالأندلس والذين رجع منهم عدد كبير إلى أرض المغرب.

وببلاد المغرب انتشرت في عهدي دولتي المرابطين والموحدين، الحدايق والبساتين بأمر من ولّاة الأمر في المغرب، والتي قام بإنشائها خبراء البساتين الأندلسيين، وعرف أهل المغرب ارتياد الحدايق والمنتزهات في أعيادهم واحتفالاتهم ويأتي في مقدمة هذه الحدايق تلك الحديقة الكبيرة التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن، وكذلك المنتزهات التي أنشأت بمدينة فاس (حسن علي 1980م، ص 428-429)، وحدايق سبتة التي وصفها العمري بقوله: "وفي برّ العدوّة أماكن للفرجة متعددة أخذ هكذا بجامع القلوب ولازمة الأبصار ببونش متنزهة بظاهر سبتة على البحر في نهاية من حسن الوضع وانحدار المياه التي لها على الصخور دوي والتفاف الأشجار" (

العمرى 2003م، ص100)، واشتهر كذلك جبل غمارة بكثرة المتنزهات (مؤلف مجهول 1958م، ص190).

2) صدى الألعاب الأندلسية ببلاد المغرب

رافقت الاحتفالات بالأندلس وبلاد المغرب ألعاب متعددة ومتنوعة للمتعة والتسلية وقضاء أجمل الأوقات منها مصارعة الثيران والكلاب، ولعبة العصي التي مارسها أهل غرناطة، ولعبة الكتف، وشاعت لعبة الشطرنج في غرناطة ولعبة الحاوي أو العجايي، وسادت لعبة ممارسة القنص والصيد والرمي لتظهر مهارة وشجاعة وقدرة الفرد (العامري 2012م، ص31-32).

وهناك عديد من الألعاب التي كان مصدرها الأندلس وكانت محل اهتمام من أهل المغرب، ومنها لعبة العصا، فقد أورد الغبريني رواية توحى بانتقال هذه اللعبة من الأندلس إلى بلاد المغرب مع هجرات الأندلسيين من خلال ترجمة الفقيه أبي عبد الله العربي، حيث ذكر أنه احتزم ببجاية في سنة 561هـ/1165م وركب قسبة وأمسك باليد الأخرى قسبة على هيئة محاربة العدة، وكان ذلك هو اليوم الذي هزم فيه المسلمون النصارى بمعركة الأرك (الغبريني 1979م، ص81).

واشتهرت ألعاب الفروسية بالأندلس بالساحات العمومية، وخاصة بمدينة غرناطة في ساحاتها المشهورة كساحة باب الرملة، أو ساحة باب الطوايين، وداخل إحدى هذه الساحات تقام دائرة خشبية في الهواء تدعى الطلبة يقذفها الفرسان برماحهم (العبادي، الإسلام في أرض الأندلس 1979م، ص141)، وشهدت هذه الساحات كذلك المبارزات الفردية والجماعية

التي تشبه معركة حقيقية قد يكون ضحيتها بعض الأشخاص، ولا نستبعد أن تكون بعض القرى المغربية قد عرفت بدورها ألعاب الفروسية لاشتتار أهلها بذلك، وقد وصف الإدريسي أهل قرية أم الربيع بأنّ "الغالب عليهم الفروسية" (الإدريسي 1983م، ص70-71).

ومن الألعاب الشهيرة التي لقيت اهتماما في المغرب والأندلس لعبة الشطرنج، التي يعود تاريخ دخولها إلى الأندلس حوالي القرن 03هـ/09م عن طريق المغني زرياب، وبعض المهاجرين من العراق، ومن المحتمل أن يوافق ذلك دخولها إلى بلاد المغرب خصوصا وأنّ زرياب نزل بأفريقية على عهدي الزيريين قبل ارتحاله إلى الأندلس (أ. المقري 1988، ص124) (لوفي بروفنسال د ت، ص54)، وانتشرت منذ ذلك الوقت وأغرم بها الأندلسيون، وقد أوردت المصادر اهتمام بعض الحكام بالأندلس خلال القرن 04هـ/10م بهاته اللعبة (ابن حيّان بلا تاريخ، ص180، 182) (ابن بسام بلا تاريخ، ص60)، وعرف المرابطون لعبة الشطرنج، رغم نهي الفقهاء عنها واعتبارها من شغل البطالين (بوتشيش بلا تاريخ، ص90)، وعرفت هذه اللعبة انتشارا واسعا بين الطبقة الخاصة، والعامة (الوزان 1980م، ص259) فقد ذكر عن طيب المرابطين والموحدين أبو بكر بن زهر بأنّه "جيد اللعب بالشطرنج" (أصبعة بلا تاريخ، ص110)، كما اشتهر أبو بكر ابن العربي بمهارته في هذه اللعبة (دويدار 1994م، ص315)، في حين كان للشاعر أبي الصلت بن أميّة الأندلسي "في الشطرنج يد بيضاء" (خلكان بلا تاريخ، ص246).

خاتمة :

أثبت الأندلسيون خلال عصري المرابطين والموحدين امتلاكهم القدرات والأساليب اللازمة للتأثير على مجتمع بلاد المغرب، وبالأخص في المجال الاجتماعي، فقد أظهروا قوّة تأثيرهم

في مجال اللباس، بسبب ذوقهم الرفيع الذي تميّزوا به، وبفعل الحرية التي تمتعوا بها مقارنة بالمجتمع المغربي، غير أنّ مقياس الجودة والحرية ليست المقاييس الوحيدة التي يمكن اعتمادها لقياس درجات التأثير الأندلسي على بلاد المغرب، بل يمكن اعتماد مقاييس أخرى كأهمية المرأة الأندلسية في نقل المؤثرات الاجتماعية إلى نظيرتها في بلاد المغرب. كما يجب الاهتمام بأهمية المدن كمعيار تقاس من خلاله درجة انتقال السلوكيات الأندلسية إلى بلاد المغرب من خلال دراسة تأثيرها بروج المنتوجات الزراعية ذات العلاقة بالتجارة والغذاء بواسطة التدفقات البشرية الأندلسية ذات الجودة العالية من أهل الصناعة، وقد تكون مراكش عاصمة المغرب والأندلس مثالا واضحا على ذلك، كما يمكن أن نلاحظ أنّ المؤلفات الأندلسية لا تزال شاهدة على قوة التأثير الأندلسي ببلاد المغرب في مجال الطهي وجودته. لم يكن انتقال التأثيرات الاجتماعية الأندلسية مرتبطا بالمعايير المذكورة فقط، بل تعلقت كذلك ببساطة الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب، فبساطة ترتيب المائدة المغربية مثلا كان دافعا للتأثر بترتيب المائدة الأندلسية الراقية، كما أنّ الدافع لأهل المغرب لتقليد نظرائهم في الأندلس يرجع إلى اهتمام الأندلسيين باللهو والترف، وميلهم إلى التعبير عن أفراحهم بطرق مختلفة وراقية منطلقين في ذلك من واقعهم الإسلامي الأندلسي المتميّز بطابع التحدي للبيئة الأوروبية المسيحية، والتي كانت في نظر الفقهاء ابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي، وهذا دليل على امكانية انتقال التقاليد الاجتماعية من بيئة منفتحة إلى بيئة محافظة. إنّ هذه الظاهرة التاريخية التي أمامنا والمتمثلة في انتقال التأثيرات الاجتماعية الأندلسية إلى بلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين تؤكد لنا قدرة الثقافات على التأثير في المجتمعات إذا امتلكت الأساليب والأدوات والجودة، حتّى ولو كانت متعارضة مع المعتقدات الدينية الإسلامية، غير أنّها يجب أن تلقى الاستعداد الكامل من المجتمع الموصول بثقافتها كما هو الحال بالنسبة لبلاد المغرب، وتجدر الإشارة في النهاية إلى أنّ عملية التأثير الأندلسي خلال هذه الفترة كانت تتم بدرجة أكبر على مستوى الطبقات العليا

للمجتمع بسبب احتكاكها المباشر بالأندلسيين، أما الطبقات العامة فإنّ تأثرها بالثقافة الأندلسية سيتأخر إلى العصور اللاحقة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط2، تح : محمد عبد الله عنان، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988 م.
2. ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ضبط ومراجعة : خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000 م.
3. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، سهيل زكار، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000 م.
4. ابن عمر يحيى، أحكام السوق (النظر والأحكام في جميع أحوال السوق)، تح : حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975 م.
5. الإدريسي الشريف، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، تح : إسماعيل العربي، الجزائر 1983م.
6. الضبي أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ط1، تح : إبراهيم الأبياري، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989 م.
7. الطرطوشي أبو بكر، كتاب الحوادث والبدع، ط1، ضبط وتعليق : علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1990 م.

8. الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979 م.
9. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963 م.
10. النويري شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
11. بن تاويت محمد، تاريخ سبتة، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982 م.
12. ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط2، تح: محمد عبد الله عنان، م1، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1973 م.
- ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د.ت.
- ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: السعدية فاغية، ج، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م.
13. ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، منشورات كلية الآداب، 1997م.
14. ابن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، م1، ق2، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
15. ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987 م.
16. ابن حيّان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

17. ابن سعيد، اختصار القدرح المعلى في التاريخ المحلي، ط2، تح : ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.
18. ———، المغرب في حلى المغرب، ط4، ترجمة ضيف شوقي، المجلد2، دار المعارف، القاهرة، 1995.
19. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط1، تح : محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت وآخرون، قسم الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
20. المقرئ أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحرير: إحسان عباس، ج1، دار صادر، بيروت، 1988م.
21. لمقرئ أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت، 1988م.
22. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق : نزار رضا، ج3، م1، منشورات دار مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت.
23. الأهواني عبد العزيز، الزجل في الأندلس، شركة الأمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2002م.
24. البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
25. التيطلي الأعمى، ديوان الأعمى التيطلي ومجموعة موشحاته، تح : إحسان عباس، المكتبة الأندلسية للنشر والتوزيع، بيروت، دار الثقافة، د.ت.
26. ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح : محمد علي مكى، المطبعة المهدية، تطوان، د.ت.

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

27. المراكشي ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، ج1، دار الثقافة، بيروت 1973م.
28. الوزان الحسن، وصف إفريقيا تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، الشركة المغربية لدور النشر، الرباط 1980م.
29. الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، أخرجه مجموعة من الفقهاء، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
30. ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، شرحه وضبطه نصوصه وقدم له، عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
31. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج1، دار صادر، بيروت.
32. ابن قزمان، ديوان الزجل، نص ولغة وعروض: ف. كورنيطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1980م.
33. كرنخال مارمول، إفريقيا: تر: محمد حجي، محمد زبير، وآخرون، ج2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م.
34. مؤلف مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، تح: هويثي ميراندا، المجلد التاسع، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1961-1962م.
35. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، المطبعة الجامعية، 1958م.
36. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1977م.
37. العمري ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، 2003م.

المراجع:

1. الشعكة مصطفى، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1986 م.
2. العامري محمد بشير، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع 2012 م.
3. العبادي أحمد مختار، الأعياد في مملكة غرناطة، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1970 م.
4. لويس بولسن، (الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة ق(05-07هـ/11-13م)، مجلة دراسات أندلسية، عدد6، تونس، 1991م.
5. سالم السيد عبد العزيز، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1984 م.
6. سامعي إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، ط1، قسنطينة، منشورات مكتبة إقرأ، 2007 م.
7. شيوخ إبراهيم، المائدة في التراث الإسلامي، دار الفرقان للتراث الإسلامي.
8. قدامة أحمد، قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، ط7، دار النفائس، بيروت، 1992 م.
9. ابراهيم حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1967م.
10. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الشروق، الأردن، 1997م.

مجلة أنثروبولوجية الأديان (الجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

11. السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2000 م.
12. العبادي أحمد مختار، الإسلام في أرض الأندلس، عالم الفكر، بيروت، 1979 م.
13. المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1996م.
14. بوتشيش القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
15. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 م.
16. دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988 م.
17. دويدار حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (422-138هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1994 م.
18. زامبادور. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي، بيروت، د.ت.
19. فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2002 م.
20. عبد العزيز عادل محمد، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر، الدار البيضاء، د.ت.
21. قاسم الطويل مريم، (مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 483-403هـ/1012-1090م)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994 م.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

22. ليفي برونفيسال، حضارة العرب في الأندلس، ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

23. ميتز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريذة، ج2، دار الكتاب العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

الدوريات

1. صالح يوسف بن قرية، مقدمة لدراسة الملابس المغربية - الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية، مجلة التاريخ العربي ربيع الأول، 2000م.

2. دافيد وينز، (فنون الطبخ في الأندلس)، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م.

3. ماريا ج. فينغيرا، (أصل للمعالي: المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس)، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

الرسائل الجامعية:

1. عزرودي نصيرة، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط من القرن الثاني الهجري وحتى آخر القرن الثامن الهجري/ الثامن الميلادي حتى الرابع عشر ميلادي، رسالة ماجستير، إشراف سحر السيد عبد العزيز سالم، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 2007م.

المراجع الأجنبية

1. Provençal Lévi، Histoire de l'Espagne Musulmane, T3, Paris, 1970.